مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (2)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No. (2) 2007

صورة المرأة في شعر نديم محمّد
دراسة الصّورة السّاخرة

الدّكتور يعقوب البيطار*
الدّكتور فاخر ميّا **
آصف درِيباتي ***

(تاريخ الإيداع 4 / 7 / 2007. قبل للنشر في 4 / 9 / 2007)

□ الملخّص □

المرأة بما تملكه من مكوّنات تنعكس على صفحة حياتنا اليوميّة، جعلت الشّعراء والكتّاب يولونها الاهتمام الذي يوازي تلك المكانة، فتنافسوا في تصوير الجانب الحسّي منها؛ لأنّه الجانب المثير للأحاسيس المكبوتة. ومن هنا، نجد أنّ الشّاعر نديم محمّد، قد تناولها من جانبين: الجانب الحسّي، والجانب المعنوي، فإذا ما وقف عند الجانب الأوّل، أظهر مفاتنها الجسدية، وإذا ما تناول الجانب الآخر، جعلنا نسخر بألم من تصرّفاتها التي تدعو إلى الضّحك.

كلمات مفتاحيّة: المرأة. الصّورة، نديم محمّد، السّخرية.

* أستاذ في كلّية الآداب – قسم اللغة العربيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.
** أستاذ في كلّية الآداب – قسم اللغة العربيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.
*** طالب دكتوراه – قسم اللغة العربيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (2)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No. (2) 2007

Image of Woman in the Poetry of Nadim Mohammad: Analysis of the Ironic Image

Dr. Yakoub Al-Bittar*
Dr. Fakher Maya **
Asef Dribaty***

(Received 4 / 7 / 2007. Accepted 4 / 9 / 2007)

□ ABSTRACT □

The woman, being the centre of life, has correspondingly been the subject of poetry. Poets competed in their representation of the woman, especially the sensitive aspects. Nadim Muhammad is one of such poets, who represented both the physical and moral sides of woman. In his poetry, the woman's physical beauty is praised, while the behavior is made the subject of fun and laughter.

Keywords: The woman, Irony, Nadim Mohammad.

***Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
*****Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

أوّلاً : حياة الشّاعر نديم محمّد في سطور:

ولد الشّاعر نديم محمّد في قرية (عين الشّقاق) قرب مدينة جبلة ، في تشرين الثّاني ، 1909 م ، وكان لوالده محمّد خمسة أولاد أُخر ، وأمّه مزنة بنت عبّاس البنيّات [1] ، أمّا نسبه فينتهي بعليّ أبو شلحة ، تنقّل بين سوريّة ولبنان وفرنسا وسويسرا بغية التّحصيل العلميّ ، ليعود من جديد إلى الوطن عام 1930 ، شغل وظائف عدّة، وتركها معلّلاً أسباب ذلك إلى القائمين عليها [2] ، وقد هزّته وفاة والده ، ثمّ وفاة أخيه الأصغر لاحقاً ، والذي انتقل إلى عهدته ، وكان سبباً في هزيمته واندحاره أمام عقليّة الضّيعة المسيطرة الكاسحة[3].

كان من عائلة غنيّة معروفة، وقد جاء ضعيف البنية، ما جعل الأسرة تتطيّر منه، لأنّها تريد أبناءها أقوياء[4]. آثر الانتقال إلى طرطوس ليعيش بقيّة حياته مع خادمته ، تاركاً أهله وقريته [5] .

ومنذ طفولته تمرّد الفتى ، وبانت مواهبه الشّعريّة الفطريّة [6] ، وأرى أنّ سبب الصّدمة الكبرى عند الشّاعر نديم محمّد هو انتزاع راية زعامة العشيرة التي تسلمها لفترة قصيرة ، وممّا يؤكّد ذلك قوله منتقماً ممّن اغتصب هذا الحقّ [7] :

أنكـــــــروا حتّـــــــى شـــــــبابي أنكـــــــروا حتّـــــــى ثيـــــــابي

أنـــــا فـــــي العفّـــــة كـــــالطُّهر وأنـــــتم كالـــــذّباب

ولا بدّ من التّنويه إلى أنّ القصيدة تضيء بعض ملامح السّيرة الذّاتيّة لشخص ما [8] بعد أن يكون كتّاب السّيرة قد تلاعبوا ببعض الأحداث الهامّة لأسباب لا نعرفها .

والإحساس بالغربة هو الخيط النّاظم لحياة نديم محمّد شعراً وشعوراً فهل يمكننا أن ننظر إليه بوصفه أحد صعاليك العرب في القرن العشرين [9] ، وإذا صحّ ما يقوله (البيولوجيّون) من الصّدفة بين تكوين الإنسان الخَلْقي والنّفسيّ ، فإنّه اجتمع لنديم محمّد ما ذكر .

(فالشّاعر نديم محمّد طويل .... نحيل ، ذو وجه أسمر متطاول ، قد أحاله المرض إلى لون الرّماد المعروف باللون الأسمر الكابي ، تتموّج تجاعيد عمّقتها الأحداث المكتظّة بالخيبات ..... أنفه يتطاول بارزاً ؛ كأنّه يتصيّد منه الهواء الذي يفصل بينه وبينك نواياك ، عينان ضيّقتان حادّتان ، تحار كيف تقرأ لحجمها ، لأنّهما غائمتان ، .....

---

[1] نديم محمّد . *الأعمال الشّعريّة الكاملة* : ج1 ، دمشق ، وزارة الإعلام ، (دار الحصاد للطّباعة والنّشر ، ط1 ، 1998) 70 .

[2] يُنظر . نديم محمّد . *الأعمال الشّعريّة الكاملة* ، ج1 ، ص16 . ود. عادل الفريجات . *نديم محمّد شاعراً قوميّاً* (الموقف الأدبي، ع341، السّنة التّاسعة والعشرون ، أيلول ، 1999) ، ص10-11 .

[3] نديم محمّد . *مجموعة فراشات وعناكب* ، (دار الحقائق ، بيروت ، ط1 ، 1995) 70 .

[4] يوسف بلال . *نديم محمّد شاعر الكبرياء والخيبات* ، (وزارة الإعلام ، دمشق ، ط1 ، 1998 ،) 99-111 .

[5] عبد اللطيف محرز . *الشّاعر نديم محمّد في مقتطفات* ، (وزارة الإعلام ، دمشق ، ط1) 11-13 .

[6] د. محمّد اسبر أمين . *نديم محمّد* ، دمشق ، (الأهالي للطّباعة والنّشر والحفظ ، ط1 ، 1994) 11 .

[7] نديم محمّد . *الأعمال الشّعرية الكاملة* ، ج1 ، 109 .

[8] د. صالح ولعة . *السّيرة الذّاتيّة المفاهيم والحدود في ضوء نظريّة الأجناس الأدبيّة* (الموقف الأدبيّ ، ع404 ، س2004 ، ك1)، 247.

[9] عبد اللطيف محرز . *نديم محمّد في مقتطفات* ، 26 .

هيّأته الطّبيعة لينتفض بجرأة ، وعناد وخفّة وقوّة ، جبهة عالية مخدّدة ، تتعمّق كلّما تكلّم منفعلاً ..... يداه طويلتان نحيلتان .... ورأسه دقيق كجمرة رفض لا تكفّ عن الأزيز) [10] .

وإذا كان الدّافع لهجاء ابن الرّوميّ (ما كان في نفسه من نقمة على النّاس والمجتمع بسبب من الحرمان الذي عانى منه ، والازدراء الذي لقيه من بني البشر ، والكآبة التي أحاطوه فيها من كلّ جانب [11] فإنّه يتّفق مع الدّافع إلى سخرية نديم محمّد ، فقد عاش نديم محمّد الحزن والمأساة والوحدة التي جعلته غريباً وأدرك كلّ هذه الأبعاد التي صبغته بالسّوداويّة ، وهيّأته ليكون علماً من أعلام شعراء السّخرية في العصر الحديث ، (وكان نديم محمّد شاعراً وطنيّاً مخلص الوطنيّة ، فلم يكن يهادن سلطات الاحتلال الفرنسيّ والمتعاونين معهم) [12] ، وكان شعره مرآة لشعوره إذ (جاء ترجماناً صادقاً لحياته ، وتسجيلاً دقيقاً لأفكاره ، وعنواناً بارزاً لإحساسه) [13] ، عاش نديم محمّد فقيراً ، ومات فقيراً في السّابع عشر من كانون الثّاني عام 1994 ، بعد أن ترك لنا شعراً في شتّى القضايا ، وإنّا نتطلّع إلى نشر مجموعاته التي لم تنشر بسبب سخريته اللاذعة من أشخاص معروفين .

ثانياً : المرأة في حياة نديم محمّد:

كانت المرأة ولا تزال حاضرة في أقلام الشّعراء ، وأحاسيسهم إذ رأوا في المرأة كلّ ما يجلب لهم السّرور ، وجعلوا منها موضوعاً لأشعارهم لما لها من أهمّية قويّة في وجودهم ، (ومنهم من دعا الشّعراء إلى التّنبّه إلى مواطن الجمال في المرأة ، من مثل نزار قبّاني ، كون المرأة مصدراً لشتّى أنواع الفنون ، فجسدها قصيدة شعر ومطاردة جمالها حقّ حضاري) [14] . ومن جديد يتبدّى لنا الأدب المكشوف جليّاً في العصر الحديث، إذ لا يخلو ديوان شعر من هذا الأدب الذي رأى بعضهم في صاحبته المرأة (أنّها تساوي الدّنيا ، ويتمنّى من الله أن تشيّعه النّساء) [15] .

وكان نديم محمّد من أولئك الذين شغلتهم المرأة طيلة حياته إذ (كانت تسكنه هاجساً دائماً ، بدأ مع المرأة . كما يبدأ أي فتى . معابثاً عبثاً صبيانيّاً ، ثمّ محبّاً حبّاً جارفاً ، يستولي عليه بكلّيته ، ثمّ ساعياً إلى المرأة في الخلوات والمجالس ، والسّهرات والفراش) [16] .

وقد غلب على شعره في المرأة التّقليد الذي يشبه شعراء بني عذرة للوهلة الأولى من مثل ما في قوله [17] :

وأصـــــــــعب حـــــــــالاً فـــــــــي الهـــــــــوى حـــــــــالُ عاشـــــــــق

يســـــــــــومونه ذنبـــــــــــاً ، ولـــــــــــيس لـــــــــــه ذنـــــــــــبُ

---

[10] يوسف بلال . *نديم محمّد شاعر الكبرياء والخيبات* ، 28–29 .

[11] د. فوزي عطوي . *ابن الرّوميّ شاعر الغربة النّفسيّة* ، (دار الفكر العربيّ ، بيروت ، ط1 ، 1998) 277 .

[12] جميل حسن . *نديم محمّد سيرة حياة وقراءة شعر* ، دمشق (منشورات وزارة الثّقافة ، ط1 ، 2000) 9 .

[13] عبد اللطيف محرز . *الشّاعر نديم محمّد حياة في مقتطفات* ، 9 .

[14] ديب علي حسن . *نزار قباني رحلة الشّعر والحياة* ، دمشق ، (دار المنارة ، ط1 ، 1997)88 .

[15] ديب علي حسن . *المرأة في حياة وشعر الجواهري* ، دمشق ، (دار المنارة ، ط1 ، 2002)53 .

[16] جميل حسن . *نديم محمّد سيرة حياة وقراءة شعر* ، 6 .

[17] نديم محمّد . *الأعمال الشّعريّة الكاملة* ج1 ، 179.

وقد حدثت قفزة نوعية لهذا الحبّ العادي إلى حبّ ملك عليه فؤاده ، وتركه لا يرى مستقبل الدّنيا إلاّ في عين الحبيبة (إنّها جنّيّة فتحت بعصا سحرية قلبه المتوحش المقفل) .

هذه الجنيّة السّاحرة (كوكب) التي أضاءت عليه وجوده ، ثمّ لتنسحب من حياته ، ويا ليتها انسحبت ، بل خانت من ذوّب عمره لأجلها ،وفي ذلك يقول[18] :

تخـــــــــونُ مـــــــــن ذوّبـــــــــتُ عمـــــــــري لهـــــــــا

وتلـــــــــك حـــــــــالُ الغيـــــــــد مـــــــــا أعجبـــــــــا

خانته التي أحبّها حباً استثنائياً ، فُجع بمن قال فيها [19] :

إنْ قيـــــــــل : إنّـــــــــك فـــــــــي الملاحـــــــــةِ (كوكـــــــــبُ)

أو قيـــــــــل : بيتُـــــــــك فـــــــــي الثُّريّـــــــــا قـــــــــائم

وكان نبله وشهامته يأبيان عليه أن يشهّر بحبّه لها ، ولكنّه سرعان ما تحوّل بعد حبّه الفاشل إلى إنسان عارم الرّغبة في الحياة ومسرّاتها ، واستمرّت عاطفة الحب المشبوبة في هيجانها حتّى وهو على أبواب العجز (إذ ظلّ يعشق المرأة ، ويشتهيها طول عمره ، ومن يعرفه عن قرب ، يؤكّد عنه هذه الخلّة) [20] وقد صب جام غضبه على حبيبته التي خانته في مجموعة (الآلام) قبل أن يطبع ديوانه : (أنت غلطة حسابي ، أنت لعنة من ورائي ، أنت الآسرة ، أنت الغادرة ، أنت الواهمة ، أنت الخادعة ، أنت المخدوعة ، أنت المتمرّغة في مستنقع الطّموحات الرّخيصة والمتعالية في الوقت ذاته) [21] .

وهذا يقودنا إلى أنّها كانت السّبب الرّئيس وراء تفجّر ينبوع السّخرية من المرأة ، إذ طعنته وسبّبت له جرحاً طال نزيزه ، بسبب من شعوره بالمهانة ، النّاجم عن كونه (نديم محمّد) الموصوف بالصّفات الرّفيعة ، يُرفض من فتاة وهبها حبّاً لا حدود له .

وقد ولّدت له هذه الخيانة عقدة الشّعور بالخيبة والخسران ما دفعه إلى السّخرية من كلّ أنثى تحيد عن جادة الصّواب ، وهيهات للشّاعر أن يسكت على آمال ضاعت [22] .

صورة المرأة السّاخرة في شعر نديم محمّد :

وتنوّع الشّعر كتنوّع الحياة ، فكما يوجد الغثّ والسّمين في البشر ، يوجد الشّعر الذي يصوّر كلّ صنف ؛ لأنّه من نتاج أصناف البشر (فالشّعر كالحياة شيء واحد ، مادّة مستمدّة أساساً ، أو طاقة دائمة ، الشّعر تاريخياً حركة

---

[18] عبد اللطيف محرز . *الشّاعر نديم محمّد حياة في مقتطفات* ، 28 .

[19] جميل حسن : *نديم محمّد سيرة حياة وقراءة وشعر* ، 36 ، لم ألحظه في الدّيوان المطبوع .

[20] جميل حسن : *المرجع السّابق* ، 41 .

[21] جميل حسن : *المرجع السّابق* ، 42 .

[22] جميل حسن : *المرجع السّابق* ، 116 .

مترابطة ، سلسلة من البيانات المتكاملة والمتعاقبة) [23] ، وكلّ طرف حياتي يقابله ضدّه ، ثنائية عهدناها في شتّى مناحي الحياة (ففي الطّرف المقابل للخشوع والتّقديس المسرفين اللذين عبّر الشّعراء بهما عن خيبة أملهم في مُثُلهم التي صاغها وجدانهم المرهف ووشّاها بالخيال ، والأحلام ، والأوهام ، فصوّروا لنا المرأة مخلوقاً طائشاً ، نزقاً قليلة الوفاء ، كثيرة التّقلّب والخيانة وكأنّها في كلتا الحالتين معادل للحياة عند الشّاعر ، فيما تمنحه للمرء من ساعات الصّفاء والإقبال ، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار وتحوّل مفاجئ في المصير) [24] .

وكان لنديم وهو أحد هؤلاء الشّعراء أن يعبّر بدقّة عن هذه الظّاهرة ساخراً من تلك المرأة التي تخالف المعهود ، المرأة التي وقفت على عتبة الخمسين وأصبحت في حالة لا تُحسد عليها ، تلحق فتىً في مقتبل العمر فقط ليلبّي نهمها إلى الجنس قال [25] :

صـــــفراءُ نَمْشَـــــاءُ بلـــــونِ العُصْـــــفُرهْ حَـــــدْباءُ عجفـــــاءُ كَظِـــــلِّ الشّـــــعَرهْ

مفلوشـــــــةُ الثـــــــديَيْنِ لا مَيْمَنَـــــــةً همُّهـــــا فـــــي صـــــدرها أو يســـــره

وشـــــعرها عوســـــجةٌ يابســـــةٌ مفروشـــــةٌ ســـــطوحُها بـــــالغبَرَهْ

ورأسُـــــها أَرْنَبَـــــةٌ تَحمِلُهـــــا سُـــــنبُلةٌ مَحنِيَـــــةٌ مُكَسَّـــــرَهْ

تَسْـــحَبُ خمســـينَ علـــى أعقابهـــا وصِـــبْيَةٌ مـــن رَجُلَيْهـــا عَشَـــرَهْ

جُـــنَّ هواهـــا بـــابن عشـــرين خليـــعٍ يتمشّـــى كالنِّســـاء البختـــرهْ

تلحِقُـــهُ كَظِلِّـــهِ زاحفـــةً كـــدودةٍ هزيلـــةٍ معفَّـــرهْ

كَهِـــرَّةٍ جائعـــةٍ ظامئـــةٍ قـــافزةٍ وراءهُ مُثَرْثِـــرَهْ

ولا تخـــف زوجـــي وأولادي غفـــوا وجارُنـــا الشّـــاعرُ سَـــلْنِي خبـــرهْ

جنايـــةٌ أشـــهدُها ماثِلَـــةٌ وقِصَّـــةٌ أســـمعُها مُكَـــرَّرهْ

يعيشـــها تحـــت ســـماعيَ حَفْنَـــةٌ مـــن المناكيـــدِ المســـوخِ الفجـــرَهْ

---

[23] آ. أي . ريتشاردز . *مبادئ النّقد الأدبي* ، د. إبراهيم الشّهابي ، دمشق ، (منشورات وزارة الثّقافة ، ط1 ، 2002) 21 .

[24] عبد القادر القطّ . *الاتّجاه الوجدانيّ في الشّعر العربيّ المعاصر* ، بيروت ، (دار النّهضة العربيّة ، ط2 ، 1981) 295 .

[25] نديم محمّد . *الأعمال الشّعرية الكاملة* ، ج3 ، 201–202 .

بدأ الشّاعر رسم صور السّخرية لتلك المرأة بنوع من الحدّة والغضب الممزوجين بالحقد عليها ؛ مسخّراً الأوصاف الحسّية التي تبرز المفارقة والتباين بينها بوصفها امرأة في الخمسين وبين أحلامها الشابة المراهقة .

– فلونها مائل إلى الشّحوب والاصفرار ، وهو لون غير مرغوب يدلّ على المرض والضّعف وكأنّ الشّباب مودّع فيه ، وكيف إذا كان النّمش يعلوه ويزيد في بشاعته ، وحالة الهزال الشّديد في جسمها أبرزت عاهة الحدب في مشيتها ، فالسّخرية بادية في كلّ كلمة في البيت وكأنّ لسان حال الشّاعر يقول : كلّ ما فيك لا يجذب .

– في البيت الثّاني أطلقت العنان لثدييها ليميلا مع مشيتها العجلى يمنة ويسرة من دون ضابط لهما أو رادع أخلاقي ؛ وأراد بذلك أنّها متحرّرة من كلّ قيد أخلاقيّ ، وهي تريد أن تفهم الجميع أنّها أطلقت العنان حتّى للممنوع، ولحرية الشهوات الغريزية لتبلغ مداها من دون ضابط .

– أمّا في البيت الثّالث : فقد أبدع في رسم صورة الشَّعر غير المسرح وغير المعتنى به ، الشّعر الذي اختطّه الشّيب إذ شبّهه بشوكة سياج علاها الغبار ، وقد بدا أسلوبه السّاخر الهازئ (الكاريكاتيريّ) المضحك في كثير من الأحيان تجسيده الحالة التي يصف .

وأراد بهذا الوصف أمرين : الأوّل : تقريع لها وتهكّم بها ، لأنّها أصبحت في سنّ متأخّرة ضعيفة ، وقد دلّل على ذلك بالعوسجة اليابسة ، التي علاها الغبار ، والثّاني : تهكّم بالشّاب الذي يرضى مضاجعتها .

أمّا في الأبيات الرّابع والخامس والسّادس : فيعلنها صراحة ألاّ نفع منها ، فشبابها ولّى إلى غير رجعة، متّكئاً على العدد الذي ساعد في إيضاح حال السّخرية (فعمرها خمسون ، أولادها عشرة ، متزوّجة برجُلين اثنين ، وعُمر شابّها الخليع عشرون) ، إذ أبرز العدد مجموعة من التّناقضات التي لا يمكن أن تتمخّض عنها مثل هذه العلاقة.

وفي الأبيات السّابع والثّامن : يعمد إلى الأوصاف الحسّيّة ، يلبسها تلك المرأة ليس لدفع شأنها ، إنّما للنّيل منها (كالدّودة الزّاحفة ، كالهرّة الظّامئة) إذ يجعل بين شهوتها بهيمية غرائزية ، لا ضابط لها .

وفي بقية الأبيات : يدخل الشّاعر إلى نفسها ، ليعرف ماذا تخبّئ من تلهّف إلى اللقاء ، وأنّ هذا الذي يحصل من فاعليها جناية ، تبعث على الألم من تفشّي هذه الظّاهرة .

وظاهرة السّخرية من النّساء المتبرّجات (أصبحت طابعاً متميّزاً عند بعض الشّعراء، بعد أن نفد صبرهم، ولم يعودوا قادرين على تحمّل كثيراً من المظاهر التي تُعدّ خروجاً على الحشمة والوقار) [26] .

ولم يقف الشّاعر نديم محمّد عند الجانب الحسّي في تصوير محاسن المرأة أو قبحها ، إنّما صوّر الجانب الآخر وأعني المعنوي بغرض استكشاف ما بداخلها من حسن أو قبح غير باديَين للعيان ، فالظّاهر من السّهل وصفه لأنّه ماثل أمامنا ، أمّا الباطن فيحتاج وصفه إلى حذق وإلى شاعر متمرّس (فعظمة الصّورة في تكثيفها الدّلالات ونشرها مجالاً رحباً للخيال ، والمتدبّر للصّورة ، لا يقرأ فقد أفكار الشّاعر ، وإنّما انفعاله العميق بها) [27] .

وإذا كان الشّعراء ومنهم نديم محمّد ، قد صوّروا المرأة في أجمل صورة ، وأبرزوا جمالها الحسّي والمعنوي بشكل جعل منها أنموذجاً للجمال ومعبداً للحبّ ، فإنّا نجد (في الطّرف المقابل لهذا الخشوع والتّقديس المسرف " لعاطفة الحبّ " أنّ بعض هؤلاء الشّعراء قد عبّروا عن خيبة أملهم في مُثُلهم التي صاغها وجدانهم المرهف ، ووشّاها بالخيال والأحلام والأوهام فيصوّرون المرأة مخلوقاً طائشاً ، نزقاً قليلة الوفاء ، كثيرة التّقلّب والخيانة ، وكأنّها في كلتا الحالتين

---

[26] د. عادل أبو عمشة . *قضايا المرأة في الشّعر العربيّ الحديث في مصر* ، بيروت ، (دار الجيل ، ط1) 423 .

[27] د. عبد القادر الرّباعي . *الصّورة الفنّيّة في شعر أبي تمّام* ، بيروت ، (المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، ط2 ، 1999) 92 .

معادل للحياة عند الشّاعر فيما تمنحه للمرء من ساعات الصّفاء والإقبال ، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار وتحوّل مفاجئ في المصير) [28] .

ولكن بنظرة موضوعية للمرأة ، هل تبحّر أحدهم في استنطاقها حول سبب خيانتها للرّجل ، ومن قال إنّ الخيانة حكر عليها وحدها ، فالخيانة كانت منذ فجر التّاريخ عند الرّجال أكثر من النّساء ، ولكن خيانتها تبدو فظيعة عندهم حسب رأيي المتواضع بسبب الخوف من ضياع النّسب عندهم . وبالقدر الذي أحبّ فيه الشّاعر نديم محمّد النّساء نراه يقف من كثيرات منهنّ موقف السّاخر من تصرفاتهنّ ، يقول وتحت عنوان خائنة [29] :

وتخـــــونُ فـــــي جُـــــنْحِ الـــــدُّجى وتخـــــونُ فـــــي وَضَـــــحِ النَّهَـــــارِ

ظمـــــأى إلـــــى نـــــارِ الخَنـــــى فاعجـــــبْ لِظَمْـــــآنٍ لِنـــــارِ

تعطيـــــكَ مـــــا حَمَـــــلَ الصِّـــــبا فـــــي بُرْدَتَيْـــــهِ مـــــن الثِّمـــــارِ

وتقـــــول : أنـــــتَ مُعَـــــذِّبي وَأَحَـــــبُّ مـــــن أهلـــــي وجـــــاري

وتميـــــلُ عنـــــكَ لآخـــــرٍ أَفَأَنْـــــتَ ، أمْ خِلَـــــقُ الإزارِ ؟

فالأبيات السّابقة ، تعطينا صورة كلّية جليّة عن العاهرة الخائنة لزوجها ، والقيم التي خلقت من أجلها بوصفها أنثى ، وقد تبدّى لنا الشّاعر نديم ساخطاً عليها ساخراً سخرية ممزوجة بنوع من النّقمة والغضب والحقد عليها ، لأنّ فعلتها خروج على المألوف مصوّراً ذلك بمبالغة شديدة ، ليجد صدى ذلك في المجتمع .

وقد طالعتنا في الأبيات جوانب خمسة من الأفكار :

الجانب الأوّل : (خيانة الزّوجة) ، ولكن ليس خلسة ، بل في وضح النّهار ، إذ أبدت استهتاراً بالقيم المجتمعيّة ، وأنّها غير مكترثة لما تفعل ، ولرأي النّاس فيها .

الجانب الثّاني : (التّعطّش لإشباع الغريزة) ، أي أنّها تبدي رغبة شديدة لتعاطي الجنس بشكل علناً ، وقد كرّر كلمة نار للتّأكيد على ما بداخلها من فورة جنسيّة قويّة وللتّأكيد على فكرة عقاب الآخرة ، فالنّار الأولى نار الشّهوة المتّقدة ، والنّار الثّانية هي نار جهنّم ، فالأولى برأي الشّاعر تقود إلى الثّانية .

والجانب الثّالث : (تعطيك ما تشاء) إذن ، لا شيء محرّم عندها ، وهذا يقود إلى عدم خوفها ، أو مبالاتها بالتّقاليد العربيّة الإسلاميّة المجتمعيّة ، والتي تحظّر التّعاطي مع المحرّمات .

أمّا الجانب الرّابع : فهو (الكذب) ، إنّها تدّعي ما لا فيها ، أي تعيش بازدواجيّة في شخصيّتها ، وأنّها غير سويّة من النّاحية النّفسيّة .

---

[28] عبد القادر القطّ . *الاتّجاه الوجدانيّ في الشّعر العربيّ المعاصر* ، بيروت ، (دار النّهضة العربيّة ، ط2 ، 1981) 295 .

[29] نديم محمّد . *الأعمال الشّعريّة الكاملة* ، ج1 ، 188 .

ويأتي أخيراً **الجانب الخامس** : (تقلّب أهوائها) فهي لا تعيش وفق مبدأ ، ولا تعرف حياة الانضباط ، مرّة معك ، ومرّة عليك .

وقد عرّى الشّاعر حقيقتها الكاذبة ، ذات الوجهين : وجه تركت لنفسها العنان لتفعل ما يحلو لها ، ووجه تداري فيه عن نفسها ، وتواري خبثها ، ليقع في شركها إنسان آخر من جديد ، وهذا يقود إلى انعدام وفائها، وتنامي الغدر لديها ، إذ لا يؤمن جانبها ، والشّاعر في تسليطه الضّوء عليها ، ما هو إلاّ لإنقاذ المجتمع من مثيلاتها ليغدو نقيّاً .

والعهر لم يكن وليد القرن العشرين ؛ بل كان وليد عصور ما قبل التّاريخ إذ كان منتشراً في أماكن عدّة من غرب آسيا ، وعند بني إسرائيل وسوريا وبابل ، وغيرها بسبب من إدارة النّساء لحانات الشّراب [30] وهذا السّبب وجيه ، وإن كانت هناك أسباب أخرى كتدنّي المستوى الاجتماعيّ والاقتصادي للمجتمعات ، والحروب المدمرة التي تودي بملايين الرّجال فتبقى النّساء عرضة للامتهان ، بسبب من الحاجة الماديّة والحاجة المعنويّة العاطفيّة، ولكن قد تسفل المرأة لشذوذ في شخصيّتها مثل التي تعرّض لها نديم محمّد بأسلوب نشتمّ منه رائحة السّخرية والتّهكم قال [31]:

عواطِـــــفُ مـــــن صَـــــدْرِها ثـــــائرهْ وشَـــــهْوَةٌ ، فـــــي عينيهـــــا فـــــائرهْ

يلســـــعها الفُحْـــــشُ بنيرانِـــــهِ فَتَنْثَنِـــــي كـــــالنَّمرةِ العـــــاقرهْ

غارِقـــــةٌ فـــــي رِجْسِـــــها والحَيَـــــا فـــــي ذِمَّـــــةِ اللهِ إلـــــى الآخـــــرهْ

ونهـــــدُها مُلْتَهِـــــبٌ خـــــافِقٌ مُصَـــــمَّدٌ للقُبَـــــلِ الـــــوازرهْ

لقد انحدرت هذه المرأة إلى الدّرك الأسفل من الامتهان والغرق في رجس شذوذها . تطالعنا في هذه الأبيات فكرتان اثنتان :

a. إظهار هذه المرأة حبّ الشّهوة الشّديد .
b. لا حياء يردعها أو خلق .

وبراعة الشّاعر في تصوير الجانب الأوّل ، أو الفكرة الأولى تكمن في انتقائيّة صائبة لأعضاء من جسد المرأة يبرز فيها حسّها الأنثوي ، وجمالها الجسمي الذي يحرّك بالذّكر إحساس الذّكورة ، (من صدر ثائر تارّة في البيت الأوّل ، ونهد ملتهب مشرئبّ إلى الأمام يتوق للقبل في البيت الرّابع ، ومن عينين فائرتين ، لامعتين ، تبدو عليها علامات قبول الوزر ، ومن تثنّي هذه المرأة مثل النّمرة التي تثير في الذّكر الشّوق إلى السّفاد) .

أمّا الفكرة الثّانية : فهي انعدام الحياء في هذه المرأة ، والذي ينعدم الحياء عنده يفعل ما يحلو له دون رادع ، وتبدو السّخرية في الأبيات عبر المبالغة في الوصف والتّركيز على الجانب الغريزيّ منه ، من ثوران عواطف صدرها ، وفوران شهوة عينيها ، والفحش ، الذي يدفعها إلى ما تريد ، وانحناؤها وتمطّيها كالنّمرة التي تتشهّى السّفاد ، والرّجس الذي يغرقها في أوحاله ، إذ لا مخرج ولا مفرّ منه ، وحياء لا وجود له أصلاً ، ونهد مشرئبّ لتلقّي القبل . وهذه الصّور

---

[30] ول . ديورانت . *قصّة الحضارة* ، تر. د. زكي نجيب محمود ، (لجنة التّأليف والنّشر بالقاهرة ، ط1 ، (د.ت) ، ج2) 230 .

[31] نديم محمّد . *الأعمال الشّعريّة الكاملة* ، ج3 ، 226–229 .

تثير في المتلقّي نوعاً من ردّة الفعل تجاه تلك المرأة من كره وحقد ، وإن أثار الشّاعر في بعض صوره الضّحك و (حياؤها في ذمّة الله) .

(وهذا النّوع من السّخرية أُطلق عليه أدب الابتسام الذي غلب عليه طابع الهجاء الموجّه المصطبغ بالسّخرية اللاذعة) [32] .

الخاتمة:

إنّ الحديث عن الجمال مشوّق فكيف إذا كان الحديث يخصّ المرأة التي تجسّدت فيها صفات الجمال البشريّ الحسّيّ والمعنويّ ، والتي شغلت الشّعراء والكتّاب ، وإذا كان وصف جمال الطّبيعة أمراً ميسوراً لأيّ فنّان ؛ فإنّ رسم مفاتن المرأة لا يتقنه إلاّ خبير بأهواء النّساء من مثل الشّاعر نديم محمّد ، الذي صوّر المرأة بوجهيها : الوجه الطّيّب المَعْدِن ، والوجه الخبيث الطّويّة ، مركّزاً في وصفه مثل الشّعراء الذين سبقوه على الجوانب الحسّيّة لأنّ هذه الجوانب هي التي تترك الانطباع في صفحة الأحاسيس والوجدان ، وإذا ما سَخِرَ من المرأة ؛ فلأنّه ينقد تصرّفاتها غير الأخلاقيّة التي تتسبب في دمار المجتمع ويحضرني هنا قول نابليون بونابرت : (المرأة التي تهزّ السّرير بيمينها ، تستطيع أن تهزّ العالم بشمالها) ، وما ذلك إلاّ لأنّ لها الدّور الرّئيس في المجتمع ، فإن كان إيجابياً ، ارتقى المجتمع ، وإن كان سلبياً ، آل المجتمع إلى السّقوط والحضيض .

(وإنْ كانت المرأة لم تستطع أن تنتزع مكانتها حتّى الآن ، إذ لا تجد في الحياة ثوابت تمتلكها ، وتُشيع في نفسها الأمان) [33] وهذا ما جعل دورها يتراجع عن الدّور المنوط بالرّجل ، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّها ليست في حِراك دائم ، لتأخذ حقّها ، وتمتلك زمام أمورها ، وإنْ لم ينضج بعد هذا الحِراك .

المصادر والمراجع:

[32] رمزي الخالدي . *الابتسامة والعطف في الشّعر الأدبيّ* (منتديات حوار ، 2006/5/31) 1-2 .

[33] د. بشرى البستاني . *ملامح الأنثى في شعر آمال الزّهاوي* ، (الموقف الأدبي ، ع341 ، ص29 ، أيلول ، 1999) ، 39-40 .

أولاً: المصادر :

1- محمّد ، نديم . ***الأعمال الشّعرية الكاملة***، وزارة الإعلام ، دمشق ، مطابع مؤسسة الشّبيبة للإعلام والطّباعة والنّشر ، ط1 ، 1996 .

ثانياً: المراجع:

1- اسبر، أمين محمّد . ***نديم محمّد سيرة حياة وقراءة شعر*** ، دمشق ، الأهالي للطّباعة والنّشر ، ط1 ، 1994.

2- بلال ، يوسف . ***نديم محمّد شاعر الكبرياء والخيبات*** ، دمشق ، وزارة الإعلام ، ط1 ، 1998 ، ص140 .

3- حسن ، ديب علي . ***نزار قبّاني رحلة الشّعر والحياة*** ، دمشق ، دار المنارة ، ط1 ، 1997 .

4- حسن ، ديب علي . ***المرأة في حياة وشعر الجوهري*** ، دمشق ، دار المنارة ، ط1 ، 2002 .

5- ديورانت ، ول . ***قصّة الحضارة*** ، تر : د. زكي نجيب محمود ، لجنة التّأليف والنّشر بالقاهرة ، ط1، (ب.ت) ، ج2 .

6- الرّباعي، عبد القادر. ***الصّورة الفنيّة في شعر أبي تمّام***، بيروت، المؤسسة العربيّة للدّراسات، ط2، 1999.

7- ريتشاردز . ***مبادئ النّقد الأدبي*** ، تر : إبراهيم الشّهابي ، دمشق ، منشورات وزارة الثّقافة ، ط1 ، 2002 .

8- عطوي ، فوزي . ***ابن الرّوميّ شاعر الغربة النّفسيّة*** ، بيروت ، دار الفكر العربيّ ، ط1 ، 1998 .

9- أبو عمشة ، عادل . ***قضايا المرأة في الشّعر العربي الحديث في مصر*** ، بيروت ، دار الجيل ، ط1 ، 1987.

10- القطّ ، عبد القادر . ***الاتّجاه الوجداني في الشّعر العربي المعاصر***، بيروت، دار النّهضة العربية، ط2، 1981.

11- محرز ، عبد اللطيف . ***نديم محمّد في مقتطفات*** ، دمشق ، وزارة الإعلام ، ط1 ، 2001 .

ثالثاً: الدّوريات:

1- البستاني ، بشرى . ***ملامح الأنثى في شعر آمال الزّهاوي***، (الموقف الأدبيّ، ع341، س29، أيلول، 1999).

2- الخالدي ، رمزي . ***الابتسامة والعطف في الشّعر الأدبي***ّ ، (منتديات حوار ع 2006/5/31) .

3- ملعة ، صالح . ***السّيرة الذّاتيّة ، المفاهيم والحدود في ضوء نظريّة الأجناس الأدبيّة*** ، (الموقف الأدبيّ، ع404 ، ك1 ، 2004) .

4- الفريجات ، عادل . ***نديم محمّد شاعراً قوميّاً*** ، (الموقف الأدبيّ، ع341 ، س29 ، أيلول ، 1999) .